حتى نكون أحرارًا... نضال من أجل حقوق الإنسان في إيران

Until We Are Free: My Fight for Human Rights in Iran

شيرين عبادي
Shirin Ebadi

مراجعة: حسين عباس-Reviewed by Husse in Abbas

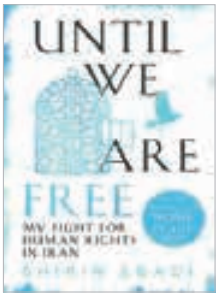

يتناول كتاب "حتى نكون أحرارًا... نضال من أجل حقوق الإنسان في إيران"، الذي كتبته الناشطة الحقوقية الإيرانية المحامية الدكتورة شيرين عبادي قصة نضالها من أجل الإصلاح والديمقراطية والمساواة أمام القانون وحرية التعبير.

ويعرض الكتاب الذي يقع في 285 صفحة ردود الفعل التي واجهت عبادي داخل إيران عند فوزها بجائزة نوبل، ومنها الملاحقات البوليسية، وما ترتب عليها من معاناة مع المراقبة والترهيب والعنف.

ويروي الكتاب الذي صدر مطلع العام الجاري 2016 وضمّ 20 فصلًا- قصصًا مخيفة عن كيفية إجبار السلطات الإيرانية عبادي لترحل إلى المنفى، واعتقال ابنتها وأختها، وكذلك توريط زوجها في شبكة تجسس مع امرأة أخرى، وكيف استولى الأمن على ميدالية "نوبل" من داخل صندوق آمن، بعد أن نهب كامل محتويات مكتبها في طهران.

ويلقي الكتاب الضوء على الحياة بصفة عامة داخل إيران، وكيف يعيش المفكرون الأحرار بتوجس وأمل في ظروف استثنائية صعبة، بسبب زيادة قوة المعارضة في الداخل تجاه التناقضات المثيرة للاهتمام من القيادة الدينية.

ويسلط الكتاب الضوء على جنون العظمة الذي بات ينتشر داخل القرار الإيراني على الصعيدين الداخلي والخارجي، من ناحية التورط الإيراني في إرسال جنود للقتال في سورية، رغم التكلفة البشرية وإشعال منطقة الشرق الأوسط بمزيد من التوترات.

وقد ألهمت عبادي -لكونها أول امرأة مسلمة تتسلم جائزة نوبل للسلام- الملايين في جميع أنحاء العالم من خلال عملها محامية لحقوق الإنسان تدافع عن النساء والأطفال ضد النظام الوحشي في إيران.

وهي إحدى المحاميات الإيرانيات اللاتي عالجن قضايا حقوق الإنسان، ودافعن عن كثيرين ممن تعرضوا لانتهاكات حقوقية على يد الحكومة الإيرانية.

تولت شيرين رئاسة المحكمة التشريعية قبل الثورة الإيرانية، فكانت أول امرأة إيرانية تصبح قاضية، ثم تتولى رئاسة محكمة، ولكن الثورة أجبرتها فيما بعد على الاستقالة، ثم اتهامها بتوزيع أشرطة تتهم فيها المحافظين بالتورط في عمليات تعذيب السجناء.

غادرت عبادي إيران وحصلت على جائزة نوبل للسلام لنشاطها الدائم في مجال حقوق الإنسان، وأثار ذلك ضجة في إيران، ووصفتها صحف حكومية بالمؤامرة الأجنبية للضغط على إيران، وجعل الحكومة الإيرانية تتخذ موقفًا عدائيًا إزاء الناشطة في مجال حقوق الإنسان.

وتحكي عبادي عبر صفحات الكتاب الذي يحمل الطابع الإنساني المدعم بالحقائق والبيانات قصتها التي تتسم بالشجاعة والتحدي في وجه الحكومة التي سعت إلى تدميرها والقضاء على عائلتها، ومهمتها لإقرار العدالة للشعب ولبلادها التي تحبها.

وحاولت إيران على مدار خمسة أعوام تخويف عبادي، ولكن تزايدت حدة عمليات الرقابة والاضطهاد بعد وصول محمود أحمدي نجاد إلى السلطة في عام 2005، إذ بدأت الحكومة التنصت على هواتف عبادي وشركتها القانونية، وأرسلت جواسيس لمتابعتها، والتحرش بزملائها، واعتقلت ابنتها، وألقت القبض على أختها بتهمة ملفقة.

وأوقفت الحكومة الإيرانية محاضرات عبادي، وأطلقت الغوغاء لمهاجمة منزلها، والاستيلاء على محتوياته، وكتابة

عبارات التهديد بالقتل على باب منزلها. ورغم أنها وجدت نفسها تعيش في ظل ظروف تشبه رواية جاسوسية،

إلا أن ذلك لم يمنعها من التحدث علنًا وتنتصر لكرامة الإنسان.

وبدا واضحًا للعيان أن الحكومة الإيرانية كانت مصممة على أخذ كل ما تحوزه عبادي أو ما يمتّ إليها بصلة: زوجها، وأصدقائها، وزملائها، ومنزلها، ومهنتها القانونية، حتى جائزة، نوبل، ولكن لم يكن بمقدور السلطة السياسية الإيرانية أن تسرق تطلعات عبادي من أجل النضال في سبيل إقرار العدالة وإقامة مستقبل أفضل للأجيال القادمة.

ويتجلى في هذا الموقف الاندهاش، فهذا الكتاب يحكي المواقف المؤلمة، ولكن يرصد أيضًا قصة سيدة رفضت الاستسلام والخضوع لرأي الحكومة الإيرانية، وفضلت مواصلة مسيرة نضالها الحقوقي المكرس للحريات، من دون النظر إلى المخاطر المحدقة بها من كل جانب.

وانطلاقًا من مدرسة الفعل لا التنظير، شكّلت أفعال عبادي وأقوالها في كتابها "حتى نكون أحرارًا..." مصدر إلهام كبيرًا للشعوب التي تنشد بقوة قيم الحرية والكرامة الإنسانية.

ومع توصل إيران إلى اتفاق نووي مع القوى العالمية، ورفع العقوبات، وفوز الإصلاحيين بمقاعد أكثر في الانتخابات البرلمانية الأخيرة في إيران- يبدو بالنسبة للعالم الخارجي أن البلاد يمكن أن تكون على وشك أن تتخذ مسلكًا جديدًا.

لكن الواقع له رأي آخر، حيث لا تزال إيران المكان الذي يُزَجّ فيه بالمعارضين في الحبس الانفرادي، حيث لا يسمح للمرأة بالعمل، أو حمل جواز سفر من دون إذن زوجها، ومعاقبة الكثيرين بتهمة "إهانة المقدسات".

وتقدم شيرين عبادي من خلال كتابها القوي والمثير، ومن خلال عملها الخاص بوصفها ناشطة ومحامية في مجال حقوق الإنسان- القليل من التفاؤل بأن الحريات والحقوق الشخصية للإيرانيين ستأتي في وقت قريب.

وبغض النظر عن الوصف الذي تقشعر منه الأبدان في الكيفية التي يُعامَل بها المواطنون في إيران، وحتى المواطنة الحائزة على جائزة نوبل للسلام، تقول: إن بفضل الاتفاق النووي، قد تشعر القيادة الدينية أنها بحاجة إلى اتخاذ اجراءات أكثر صرامة تجاه شعبها لتأكيد قوتها وإظهار استقلاليتها.

وبفضل دراستها للشريعة الإسلامية والقانون المدني، ومتابعة قضايا اضطهاد الصحفيين والمعارضين والأقليات، دخلت عبادي حربها ضمن الإطار القانوني المتدهور والفاسد في إيران.

ولكون عبادي تتناول هذه المسائل علانية، أصبحت تحظى بمصداقية، وكلماتها تدعو إلى حرية التعبير، سواء للإيرانيين أم للعالم الخارجي في كل أنحاء العالم.

وبعدما فازت عبادي بجائزة نوبل للسلام في عام 2003، كثفت أجهزة الاستخبارات الإيرانية جهودها بلا نهاية لترهيبها وتخويفها. وكتبت عبادي أنها تخضع للمراقبة، ويجري استجوابها واحتجازها، وتتعرض للتهديد. وداهمت منظمةَ حقوق الإنسان التي أقامتها بمال جائزة نوبل، وتعرضت للإغلاق. كما هُوجم منزلها على يد الغوغاء، وفي مناخ قاس وغير قابل للتحمَل غادر زملاء عبادي والموظفون لديها العمل في المؤسسة، واضطروا إلى الاختباء، أو انتهى بهم المطاف في ظلمات السجون.

وبعدما تناولت شيرين قضية نضالها الحزين والقوي لصالح بلادها في المنفى، وصفت في النصف الثاني من كتابها العديد من تناقضات القيادة الدينية وجنودها المثيرة للاهتمام، وجنون العظمة الخطير الذي يتخلل البلاد.

وتضع عبادي تورط إيران في الحرب الأهلية السورية في السياق، بحجة أن القيادة الإيرانية لا تريد أن تقدم مصالحها الجيوسياسية فقط، ولكنها تهدف أيضا إلى أن تثبت لشعبها أن أي انتفاضة شعبية في الداخل سوف تواجه بلا أدنى رحمة.

تحكي عبادي عن نضالها من أجل الإصلاح داخل إيران، وردة الفعل المدمرة التي واجهتها بعد فوزها بجائزة نوبل للسلام.

وبفضل نضالها بلا كلل من أجل الديمقراطية والمساواة أمام القانون وحرية التعبير- أصبحت عبادي صوتًا عالميًا للإلهام. ومع ذلك لا تزال تواجه داخل بلدها الحصار بوسائل المراقبة والترهيب والعنف.

وتحكي عبادي في الكتاب قصصًا مروعة عن رحلتها النضالية في مواجهة السلطات الإيرانية.

ونخلص من خلال حديث عبادي عن الحياة في إيران اليوم، وعن صراعها المستمر لدعم عملها والحفاظ على أسرتها معًا، إلى إن هذا الكتاب يمثّل عملاً يبث الأمل والمثابرة في ظل ظروف بالغة الصعوبة وبشكل استثنائي.

التشيّع والتحوّل في العصر الصفوي
The Rise of Religious Externalism in Safavied Iran

كولن تيرنر
Colin Turner

مراجعة: خليل عبدالرزاق-Reviewed by Khalil Abdelrazik

يعالج "كولن تيرنر" في كتابه "التشيّع والتحوّل في العصر الصفوي" التحوّل المذهبي في إيران عند مؤسسي الدولة الصفوية خاصة، بانتقالهم من المذهب السني إلى المذهب الشيعي.

من المعروف أن الدولة الصفوية أُقيمت عام 1509م/ 914ه، وقُوِّض سلطانها عام1740م/ 1153ه، ولا جدال في أهمية الحقبة التاريخية السياسية للصفويين، التي عالجتها الكتابات العربية بشيء من السطحية، فالصفويون في أصلهم التاريخي جماعة سنية صوفية، استطاعوا السيطرة على إيران وأجزاء من العراق، وأعلنوا بدخولهم مدينة "تبريز" إسماعيل الصفوي حاكمًا (شاهًا) عليهم، واتّخذوا المذهب الشيعي مذهبًا رسميًّا للدولة ولعاصمتهم أصفهان، وبهذا يغطي الكتاب مرحلة تاريخية مهمّة في تاريخ الحضارة والثقافة الإسلامية في إيران والعالم الإسلامي، وذلك على مستويين: الأول: تحوّل مؤسّس الدولة الشاه إسماعيل الصفوي نفسه، من المذهب السُّنّي إلى المذهب الاثني عشري الإمامي، وما لحقه من تحول إيران نفسها من بلد غالبيته من السُّنة إلى بلد شيعي بشكل شبه حصري، والمستوى الثاني: هو التمايزات الجوهرية بين الممارسات الفقهية المذهبية الشيعية، بين ما هو "براني" بحسب وصف المؤلف، وهو المتعلق بالممارسات الظاهرية والتشريعات الفقهية، والمنحى الثاني الذي أسماه "الجواني"، وهو الأكثر ارتباطًا بالممارسات الروحانية والفلسفية.

فالكتاب يعالج تاريخ التفكير الشيعي عند الدولة الصفوية الإيرانية، بالبحث في المقدمات التاريخية للفكر الشيعي، وانتقاله من كونه مذهبًا للفرد إلى مذهب للدولة؛ بالتوازي مع تاريخ الصفويين أنفسهم، لتقديم تبصرة بالتحولات المذهبية وتعلّقها بالحركة السياسية في إيران.

جاءت ترجمة عنوان الكتاب غير موافقة للعنوان الأصلي، وإن وافقت مقصد الكتاب نفسه، فالترجمة الحرفية للعنوان هي: "إسلام بدون الله"، وهي ترجمة تتعارض والذائقة العربية، بل ربما تلقى استهجانًا، وهو ما جعل المؤلف والمترجم يقترحان ترجمة بديلة تتوافق ومقاصد الكتاب وجوهر المعالجة التاريخية التي يقدمها الكتاب للمذهب الشيعي الإمامي، وانتشاره في إيران بوصفه المذهب الرسمي.

يركز الباحث على دراسة ممارستين تاريخيتين في التفكير المذهبي الإسلامي: أوّلهما سماه التشيع "البراني"، ويقابله ما سمّاه التشيع "الجواني"، وهو ثانيهما، ويقصد المؤلف بالتشيع البراني: "العَالم المسلم الذي ركز جهوده الدراسية على العلوم النقليّة، وكان جل اهتمامه منصبًّا على التبحر في الفروع ونشرها، وبالأخص الفقه والحديث"، ويقصد بالتشيع الجواني: "العالم المسلم الذي يركز اهتمامه أساسًا على أصول الإيمان: التوحيد والنبوة والمعاد، وبشكل أخص على اكتساب المعرفة بالله وصفاته، ونشر هذه المعرفة".